الفصل الخامس عشر

صلة الرحم وبر الوالدين

الإنسان بطبعه يحب المعاشرة والاختلاط، وهذا ما دلت عليه الأخبار عن سيدنا آدم عليه السلام عندما خلقه الله ﷻ شعر بوحشة الوحدة وآنسه الله ﷻ بالسيدة حواء ففرح بها فرحاً شديداً، لهذا من يترك قرينه أو يهجره فقد خالف فطرته الإنسانية.

عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**إنّ من أكبرِ الكبائرِ أن يلعنَ الرجلُ والديه**»، قيل: يا رسولَ الله وكيف يلعنُ الرجلُ والديهِ؟ قال: «**يسُبّ أبا الرجلِ فيسبُّ أباهُ ويسبُّ أمهُ فيسبُّ أمهُ**»[1].

شرح الحديث:

لا يوجد تشريع عالمي أو دستوري مثل التشريع الإسلامي الذي يقدس الوالدين وصلة الرحم، حتى أن النبي الكريم ينبهنا ويحذرنا من أكبر الكبائر، وما هي تلك الكبيرة؟!. فنظن من أول وهلة هي التهاون في العبادات أو أي شيء آخر، وأما الأمر الحقيقي فهو أن يلعن الرجل والديه ويكون ذلك الأمر الخطير عندما يسب الرجل أبا الرجل أو أمه، وبهذه الحالة لم يعرف قدر آباء الناس واحترامهم فكأنه لم يعرف قدر واحترام والديه فيكون عاقاً لهما.

الدليل القرآني

فمن يشكر الله ولم يشكر والديه لم يقبل منه لأن رضا الله من رضا

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

الوالدين، لقوله تعالى: ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِي وَلِوَٰلِدَيْكَ﴾ [لقمان، الآية: ١٤] .

يقول تعالى: ﴿۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾﴾ [الإسراء، الآية: ٢٣، ٢٤] .

شرح هذه الآيات

روي عن ابن عباس ﷺ في قوله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ﴾ [الإسراء، الآية: ٢٣] يعني أمر ربك أن لا توحّدوا غير الله ﷻ، ويقال: ألا تعبدوا إلا إياه ولا تطيعوا أحداً في المعصية.

﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ﴾ يعني براً بهما وعطفاً عليهما.

﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ﴾ يعني الشيخوخة لأحدهما أو كلاهما.

﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ﴾ لا تقل لهما قولاً رديئاً.

ويقال معناه: إذا كبر الأبوان واحتاجا إلى رفع بولهما وغائطهما فلا تأخذ بأنفك عند ذلك ولا تعبس بوجهك، فإنهما قد رفعا ذلك منك في حالة صغرك.

ثم قال: ﴿وَلَا تَنْهَرْهُمَا﴾ لا تغلظ لهما بالقول.

﴿وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ يعني ليناً حسناً.

﴿وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ﴾ يعني كن ذليلاً رحيماً عليهما.

﴿وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا﴾ يعني إذا ماتا فادع لهما بالمغفرة، يجب على الولد أن يعرف حق والديه في حياتهما وبعد مماتهما.

﴿كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا﴾ كما قاما عليّ في حال صغري حتى كبرت.

عن مالك بن ربيعة الساعدي قال: بينما أنا جالس عند رسول الله ﷺ إذ جاءه رجل من الأنصار.

فقال: يا رسول الله هل بقي عليَّ من بر أبويَّ شيء بعد موتهما أبرهما به؟

قال: «**نعم، خصال أربع: الصلاة عليهما والاستغفار لهما وإنفاذ عهدهما وإكرام صديقهما، وصلة الرحم التي لا رحم لك إلا من قبلهما فهو الذي بقي عليك من برهما بعد موتهما**»(١).

رضا الوالدين بعد الممات

قال الفقيه أبو الليث السمرقندي:

فإن سأل سائل: إن الوالدين إذا ماتا ساخطين على الولد هل يمكنه أن يرضيهما بعد وفاتهما؟

فقيل له: بلى يرضيهما بثلاثة أشياء:

أن يكون الولد صالحاً في نفسه، لأنه لا يكون شيء أحب إليهما من صلاحه.

أن يصل قرابتهما وأصدقاءهما.

أن يستغفر لهما ويدعو لهما ويتصدق عنهما.

عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن أعمالكم تعرض على أقاربكم وعشائركم في قبورهم، فإن كان خيراً استبشروا به، وإن كان غير ذلك قالوا: اللهم ألهمهم أن يعملوا بطاعتك**»(٢).

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن أعمالكم تعرض على أقاربكم وعشائركم من الأموات، فإن كان خيراً استبشروا به،**

(١) رواه أحمد وأبو داود وابن ماجه.
(٢) أبو داود.

وإن كان غير ذلك قالوا: اللهم لا تمتهم حتى تهديهم كما هديتنا»[١].

سبحان الله الابن يضرب أباه!!

عن أبي حفص البـكندي ـ وكان من علماء سمرقند ـ أنه أتاه رجل فقال: إن ابني ضربني وأوجعني.

قال: سبحان الله! الابن يضرب أباه؟!

قال: نعم ضربني وأوجعني.

فقال: هل علَّمته الأدب والعلم؟

قال: لا.

قال: فهل علَّمته القرآن؟ قال: لا.

قال: فأي عمل يعمل؟

قال: الزراعة.

قال: هل علمت لأي شيء ضربك؟ قال: لا.

قال: لعله حين أصبح وتوجه إلى الزرع وهو راكب على الحمار والثيران بين يديه والكلب خلفه وتعرضت له في ذلك الوقت فظنّ أنك بقرة فضربك، فاحمد الله أنه لم يكسر رأسك[٢].

مهما عملت لا تؤدي حق والدتك

روي أنّ رجلاً قال: يا رسول الله إن أمي هرمت فأطعمها بيدي وأسقيها وأوضئها وأحملها على عاتقي، فهل جازيتها حقها؟

قال عليه الصلاة والسلام: «**لا ولا واحد من مئة**».

قال: لمَ يا رسول الله؟

---

(١) رواه الإمام أحمد.

(٢) البصائر في تذكير العشائر.

قال: «**لأنها خدمتك في وقت ضعفك مريدة حياتك، وأنت تخدمها مريداً مماتها، ولكنك أحسنت والله يثيبك على القليل كثيراً**»[١].

أصبح جليس موسى ببره لوالدته

ورد أن سيدنا موسى عليه السلام قال: إلٰهي أرني جليسي في الجنة.

فقال: اذهب إلى البلد الفلاني فهناك قصاب جليسك في الجنة. فذهب موسى إلى ذلك الرجل فرأى شاباً يأخذ فضلاً ويعطي نقصاً، فتعجب موسى وقال: ربما غلطت به. فنزل جبريل فقال: هو ذلك الرجل الذي عرفناك به. فوقف موسى هناك إلى وقت غروب الشمس فأخذ القصاب قطعة لحم وأغلق باب دكانه وأراد الانصراف. فقال موسى عليه السلام: هل لك أن تضيفني يا فتى؟ قال: نعم باسم الله، فلما مضى معه ودخل قدَّم إليه الطعام، وقال: إن شئت أن تتناول الطعام فافعل وإلا فاصبر حتى أرجع إليك، قال موسى: أنتظر فراغك من الشغل، فقام رجل فطبخ من ذلك اللحم طبيخاً حسناً ودخل الدار وأخرج زنبيلاً فيه عجوز كأنها فرخ حمام فأخرجها منه وأخذ لها ملعقة وكان يضع الطعام في فمها حتى شبعت وخففت ثوبها ثم وضعها في الزنبيل، فحركت العجوز شفتيها فعلقها ثم رجع القصاب إلى موسى وأراد أن يأكل معه، فقال موسى: ما الذي صنعت؟

قال: اعلم أن العجوز والدتي وقد كبرت وضعفت فلا تقدر على القعود، فإذا انصرفت إلى السوق لا آكل ولا أشرب حتى أشبعها.

قال: قد علمت هذا وقد رأيتها تحرك شفتيها.

فقال الشاب: كل وقت أشبعها فيه تقول: اللهم اجعله جليس موسى.

فقال موسى: لك البشارة فأنا موسى جليسك في الجنة[٢].

---

(١) حكايا الصوفية.

(٢) مختصر رونق المجالس، ص: ٧٩ ـ ٨٠.

رضا الله من رضا الوالدين

ورد أن الله تعالى كلَّم موسى عليه الصلاة والسلام ثلاث آلاف وخمسمائة كلمة، فكان آخر كلامه: يا رب أوصني.

قال: أوصيك بأمك حسناً، قال له سبع مرات.

قال: حسبي.

ثمّ قال: يا موسى رضاها رضاي وسخطها سخطي[١].

أطع أباك يفرّج الله عنك

روى ابن كثير في تفسيره: أن إبراهيم عليه الصلاة والسلام لما أمره الله تعالى بذبح ابنه قال له: يا بني خذ الحبل والسكين وانطلق إلى هذا الشعب نحتطب، فلما خلا إبراهيم بابنه في شعب كبيرة أخبره بما أمره الله به.

فقال إسماعيل: يا أبت إفعل ما تؤمر ستجدني إن شاء الله من الصابرين، فلما أراد أن يذبحه قال له: يا أبتِ اشدد رباطي حتى لا أضطرب واشحذ شفرتك وأسرع مر السكين على حلقي فإن الموت شديد، وإن أتيت أمي فاقرأ عليها السلام مني.

فلما فعل إبراهيم ذلك فدى الله إسماعيل بكبش أنزله من السماء[٢].

ببره بأبيه صار من الصالحين

يقول تعالى: ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِي وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَيَّ ٱلْمَصِيرُ﴾ [لقمان، الآية: ١٤].

يحكى أن الفضل بن يحيى كان في السجن مع أبيه فلم يقدر على تسخين الماء، فكان الفضل يأخذ الإبريق وفيه ماء فيلصقه إلى بطنه زماناً عساه تنكسر برودته بحرارة بطنه حتى يستعمله أبوه بعد ذلك[٣].

وصايا من ذهب

عن أبي ذر رضي الله عنه قال: أوصاني خليلي ﷺ بخصال من الخير:

---

(١) المستطرف.
(٢) تفسير ابن كثير.
(٣) وفيات الأعيان.

- أوصاني أن لا أنظر إلى من هو فوقي وأن أنظر إلى ما هو دوني.
- وأوصاني بحب المساكين والدنو منهم.
- وأوصاني أن أصل رحمي وإن أدبرت.
- وأوصاني أن لا أخاف في الله لومة لائم.
- وأوصاني أن أقول الحق وإن كان مراً.
- وأوصاني أن أكثر من لا حول ولا قوة إلا بالله فإنها كنز من كنوز الجنة[١].

الرحم تنادي

روي عن ثوبان ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**ثلاث متعلقات بالعرش**»:

١ ـ **الرحمُ تقول: اللهم إني بك فلا أقطع.**

٢ ـ **والأمانة تقول: اللهم إني بك فلا أخان.**

٣ ـ **والنعمة تقول: اللهم إني بك فلا أُكفر**[٢].

روي عن ابن عمر ﷺ قال: الطابع مُعلق ـ أي السواد والقساوة وهي الظلمة على قلب العاصي ـ بقائمة العرش، فإذا اشتكت الرحم وعُمِلَ بالمعاصي واجترىء على الله تعالى بعث الله الطابع فيطبع على قلبه فلا يعقل بعد ذلك شيئاً[٣].

أي يعاقب الله تعالى قاطع الرحم في الدنيا قبل الآخرة، بأن ينزل على قلبه القساوة وعدم الرحمة على أقاربه، ومن وصل رحمه وصله الله تعالى بالرحمة والبركة في العمر والمال، ومن قطع رحمه قطعه الله من

(١) رواه الطبراني وابن حبان.
(٢) رواه البزار.
(٣) رواه البزار والبيهقي.

وصاله وأخذ البركة من عمره وماله.

أعجل البر لصلة الرحم

عن أبي بكرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما من ذنب أجدر أن يعجّل لصاحبه العقوبة في الدنيا مع ما يَدَّخِرُ له في الآخرة من البغي وقطيعة الرحم**»[١].

وفي رواية للطبراني: «**من قطيعة الرحم والخيانة والكذب، وإن أعجل البرّ ثواباً صلة الرحم، حتى إنّ أهل البيت ليكونون فجرةً فتنموا أموالهم ويكثر عددهم إذا تواصلوا**»[٢].

ما يرشد إليه الحديث تربوياً ودعوياً:

١ ـ صلة الرحم اسمها من اسم الرحمٰن، من وصله وصله الله بالرحمة ومن قطعه نزلت عليه اللعنة.

٢ ـ ومن شدة وثاق الرحم أن الأقارب يدعون لأرحامهم حتى بعد مماتهم لما على الأحياء من حق للأموات مثل الدعاء والصدقة على أرواحهم، وعلى الموتى طلب الهداية لهم.

٣ ـ صلة الرحم من حقوقها القيام بنصيحتهم وإرشاد ضالهم وهداية شاردهم وتذكير غافلهم والحماية لهم في الوجه وفي الخلف.

---

(١) رواه ابن ماجه والترمذي.

(٢) رواه ابن حبان.